

من أمراضنا الاجتماعية :

البدع والخرافات

للاستاذ عيسى متولى

بالرغم من هذا التطور الذى شمل جميع نواحي الحياة فبذل أوضاعها وغير مجراها ، تجد أن هناك الكثير من البدع والخرافات لم ينلها التطور بشئ من التغيير أو التبديل ، فبقيت على ما كانت عليه فى القرون الأولى ترمز الى الجهل المطبق ، وتدل على الجود فى التفكير . ومن هذه البدع الشائعة ما يتعارض مع الدين لأنها تخرج عن حدوده ، ومنها ما لا يقوّه العقل لأنها تبعد عن نطاقه ، وبالرغم من كل ذلك نجد أن هذه الخرافات قد وجدت طريقها الى بعض النفوس ، وتمكنت منها تمكن العقيدة ، فاذا قمت فيها ناهيا عن هذه البدع حسبك ملحدًا ، تحاول العبث بمعتقداتهم الموروثة ، التى يؤمنون بها الايمان كله ، ويقدمونها للتقديس كله .

ولستأ نحن وحدنا المصابين بداء البدع دون سائر الأمم والشعوب ، فهناك خرافات يؤمن بها الغربيون حتى اليوم ، رغم ما بلغوه فى مضمار الحضارة من شأو وما أصابوه من رقى فكرى ، فهم يتفاءلون مثلاً بالقط الأسود اذا مر ببابهم ، ويتفاءلون بالحدوة الحديدية ، بينما تراهم يتشاءمون من الرقم ١٣ وينفرون منه ، ويتجنبونه كل التجنب ، فلا يجتمع ثلاثة عشر شخصاً فى مكان واحد ... ولا تضم المائدة الواحدة ثلاثة عشر فرداً ، لأنهم يتطيرون من هذا الرغم ، ولا يلجأون اليه ؟

واذا حاولنا أن نقارن بين انتشار الخرافات عندنا وبين انتشارها عند غيرنا وجدنا أن تلك الخرافات تجد عندنا سوقاً رائجة ، وتربة خصبة ، فنحن أكثر الناس تأثراً بها ، ولعل السر فى ذلك يعزى الى طبيعتنا ، وهى الاحتفاظ بالقديم وتمسكاً به .

ومن أسوأ البدع الشائعة عندنا بدعة " الزار " وهذه الحفلات التى تنام ليلاً ونهاراً ، وتقرع فيها الطبول ، وتنفق فيها النفقات الطائلة ، كأن هذه الطبول والشموع والقرايين التى تقدم للجن دواء يستطب به . وخير ما يقال فى هذه البدعة القبيحة ما قاله " شوقي " طيب الله ثراه على لسان جنى :

يعيب رجالهم فيقال عينا	وتدفن عارها فينا النساء
وإن عجز الطبيب قال داء	من الجنى ليس له دواء
وإن قفزت صغارهم وفزلت	فنا معشر الجنى البلاء

وخفنا من أذاحم فاحتجبتنا فما عصم الحجاب ولا الخفاء
وكم متعوذ بالله منا تعوذ الأرض منه والسماء !

• •

وما زلنا نرى الكثيرين يقصدون أضرحة الأولياء للزيارة والتبرك ، فيقبلون الحجارة والحديد ، وهم بهذا العمل الذي لا يقتره الدين يعيدون الى أذهاننا صورة من عهد الوثنية في الجاهلية الأولى ، بل وأكثر من ذلك نرى آخرين يكتبون العرائض والمظالم بثون فيها مظالمهم ومطالبهم ، ملتمسين من صاحب الضريح أن يحقق مآربهم ، ويةضى حاجاتهم ، ويشفى مرضاهم ، ويفرج كربهم ، وجهل هؤلاء السفهاء أننا نقصد أضرحة الأولياء للتقرب بهم الى الله سبحانه وتعالى والى الوسط بهم عنده ، فيجيب دعاءنا ، ويحقق رجاءنا ، لأنهم لا يملكون لنا ولا نفعا .

وأذكر بهذه المناسبة ، أن بأحد مساجد القاهرة حجرا أثريا كان الناس يعتقدون أنه يرى كل مريض ، فكانوا يقصدونه من مختلف البلاد والأقاليم ويلحقونه بالسنتهم ، فكانت هذه البدعة عاملا من عوامل انتشار الأمراض ، وانتقال العدوى بين الكثيرين ، فخارب أولو الأمر تلك البدعة باحاطة الحجر بحاجز حديدى يمنع الناس من لعله .

وتقع أعيننا فى الموالد على بدع ما أنزل الله بها من سلطان ، ولقد قامت وزارة الشؤون بجهود مشكورة فى محاربة تلك البدع ، بكثابة المقالات وتنظيم محاضرات الوعظ والارشاد التى تذاع فى الموالد .

ونشاهد فى الجنائز جموع النساء يشتركن فى التشيع وقد صبغن وجوههن بهذه الصبغة الزرقاء ، ويتبعن التعش على هذه الصورة المخزية ، نائحات صائحات ، وهذه بدعة تخالف الدين لأن معناها انتهاك حرمة الموت وجلاله ، ومقابلة إرادة الله وقضائه بالسخط والغضب لا بالصبر والايان .

وهناك خرافات تشيع فى مناسبات ومواسم معينة ، فمن الخرافات التى نشهدها فى "شم النسيم" إصرار الكثيرين على تناول البصل والقريب "الفسيح" وحرصهم على تلوين البيض ، واقتناء الخضر فى تلك الليلة التى يزعمون أن "الشامة" تطوف فيها بالدور .

كما نشاهد فى مواسم رأس السنة الهجرية باعة البخور يملأون الشوارع والطرقات ويزعمون أن فى بخورهم شفاء للناس ، ووقاية من الحسد ، فيقبل الناس على اقتناء هذا البخور للتبرك به .

ويعاق الكثير من الأمهات على صدور أطفالهن عدة حبات خضراء يسمونها "الخمسة" ويثقان صدور الأطفال بالتائم والأحجية التى تعوق حركة التنفس ، والأغرب

من ذلك أننا نرى الأمهات في الريف يلبن الطفل ثوبا متعدد الألوان ظنا منهن أن هذا الثوب يحميه من "العين" ؟ بل وأكثر من ذلك فقد تعمد الأم إلى ترك طفلها قدرا دون استحمام خشية أن يظهر أمام الجيران بمظهر النظافة فيجسدونه . وهذا منتهى ما يتصوره العقل من جهل وحمقة .

وهناك من تغير اسم طفلها ، لأنها تتشائم من بعض الأسماء ، فيسمون أطفالهم أسماء مضحكة لكي يعيش الطفل طويلا . . . وتقابلنا في الطريق أحيانا أم تحمل وليدها وتجمع له من المارة القروش لكي يعيش .

وإذا مرض الطفل لم يبادر أبواه بحمله إلى الطبيب المختص ليبرئه من علته ؛ بل راحوا يطوفون به الأضرحة ويصطحبونه إلى الدجالين وأدعياء الطب الذين يضللون الناس بخوارهم وتأميمهم ، ولهذا البدعة الكثير من الضحايا من هؤلاء الأطفال الأبرياء .

ويعتقد الكثيرون في اختلاج العين ؛ فإذا اختلجت العين اليسرى تطيروا وتوقعوا شرا مستطيرا ، وإذا اختلجت العين اليمنى استبشروا وتوقعوا خيرا كثيرا .

وإذا جرى الدم في عروق يدهم اليمنى قالوا سنجي ضيفا وإذا جرى في اليسرى قالوا منقبض مالا .

كما يعتقد آخرون في الشعوذة والتدجيل ومعرفة الطالع عن طريق "الرمل" أو "الودع" أو "قدح القهوة" أو ورق اللعب أو ما إلى ذلك من خرافات سقيمة لا يقبلها العقل السليم . إن إيماننا بهذه البدع والخرافات يزعم إيماننا بالله وقدرته ، لأنها تصرفنا عن عقيدتنا وتصور لنا الحقائق تصويرا خاطئا مشوها .

خليق بنا أن نحارب تلك البدع في مختلف مظاهرها وشتى صورها بكل ما أوتينا من قوة وجهد ، عملا بوصية الرسول الكريم : "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الإيمان" . وأي منكر أسوأ من هذه البدع التي نشهدها .

لقد وصف لنا الرسول الأمين في قوله صلوات الله عليه وسلامه : كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار " فانهارب هذه البدع حتى تقضي عليها ، ونسحقها من العقول ، ومحاربة تلك البدع يكون بتسليط نور العلم وتعاليم الدين عليها فتتلاشى أمام هذا النور ، ولا تلبث أن تنمشع غياهب سحبتها القائمة المظلمة .